

العقل والقلب في القرآن
(دراسة سيكولوجية في بعض الآيات القرآنية)

Oleh: Faisal Mubarak Seff*

ملخص البحث

الإِنسان حيوان ناطق كما قال أريستوتليس أي بمعنى أن العقل هو الذي يميز الإنسان عن وسائر مخلوقاته في العالم، وبما أن العقل تحل متزلة رفيعة في حياة الإنسان سواء كانت فيما تتعلق بالأمور الدينية أو الدنيوية ولذا الرسول يقول الدين العقل لا الدين لمن لا عقل له. ومما يهمننا في هذا البحث أن أربط علاقة العقل بالقلب حيث أن بعض علماء النفس جعلوا عقلا وقلبا على سواء بينما الآخرون يفرقون بينهما، وهذا الأمر كلها لا بد بالتبع كلها من الآيات القرآنية.

١. المقدمة

من أفضل ما أنعم الله على الإنسان أن أكرمه على سائر خلقه بملكة العقل وجعله مؤهلا للأخذ عنه والتلقي من خزائن علمه

*أعضاء هيئة التدريس في قسم تعليم اللغة العربية بجامعة أناساري الإسلامية الحكومية

وجود عطائه بخاصية العقل والفهم عن الله على قدر استطاعته، لذلك كان منهم الرسول والنبي وأولوا العلم والراسخون فيه، وكان تكريم الإنسان مقررة في القرآن، قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم... إلخ).^١

و إذا نظرنا إلى الآيات القرآنية لوجدنا كثيرا من ألفاظ العقل والقلب في القرآن منها قوله تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)^٢. ومن هنا يتبادر في ذهننا ما الفرق بين العقل والقلب، وهل من وظيفة القلب أن يعقل الأشياء أم أنها وظيفة العقل.

٢. تعريف العقل والقلب

العقل في اللغة: مصدر عقل يعقل عقلا فهو معقول وعاقل العقل وأصل معنى العقل: هو المنع، ويقال فيه أيضا عقل الدواء بطنه، أي أمسكه وعقل البعير: إذا شد الساق إلى بقية الذراع بجبل واحد لمنعه من الهرب^٣. قال ابن تيمية العقل مصدر عقل يعقل عقلا إذا ضبط وأمسك ما يعلمه العقل وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه

^١. الإسراء: ٧.

^٢. الحج: ٤٦.

^٣. ابن منظور لسان العرب، ج ١١، ص ٥٨.

عما لا يحسن وهو القوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة.⁴

وأما في الإصطلاح لقد عرف العلماء بتعريفات متعددة بعضهم يجعل العقل بالروح، حيث أن العقل لا إدراك له بلا روح، وبعضهم يجعله هو القلب، لأن محل العقل القلب، وبعضهم يجعله هو الإنسان لأن ما يميز الإنسان عن غيره العقل، وبعضهم يجعله غريزة تعرف بها العلوم، وبعضهم يجعله غريزة تعرف بها العلوم، وبعضهم يجعله ذات العلوم.

لقد عرف ابن تيمية بأن العقل يتضمن على عدة معان من حيث استعماله نذكره فيما يلي: الغريزة التي في الإنسان وبها يعلم ويعقل وبه يميز عن سائر الحيوان، والضروريات من العلوم كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات وهو تعريف الفلاسفة وأهل الكلام، واكتساب العلم النظرية التي تحصل بالإستدلال ويتفاوت الناس من حيث التفاضل وهو أمر جلي.

٣. أنواع العقل

⁴. بغية المرئاد، ص ٢٤٩.

قال الإمام الحافظ أبو القاسم التيمي الأصبهاني أن العقل نوعان: الغريزي واكتسابي. والغريزي هو ما يكون موجودا مع المولود، كعقلة للإرتضاع، وأكل الطعام، وضحكه مما يسره وبكاه مما لا يهواه، وامتناعه مما يضره، كل هذا يعقله بالعقل الغريزي ثم يكتسب الصبي زيادة في العقل على مرور الأيام إلى أن يبلغ أربعين سنة، فحينئذ يكمل عقله قال تعالى (حتى إذ بلغ أشده وبلغ أربعين سنة)، أي بلغ كمال العقل، وبلغ أربعين سنة، ثم بعد ذلك يأخذ عقله في النقصان إلى أن يخرف وتلك الزيادة عقل اكتسابي، فإن العلم يكون كل يوم في زيادة، ومنتهى تعلم العلم ينتهى الأمر، فالإنسان لا يصير مستغنيا عن زيادة العلم مادام به رفق، وقد يستغنى عن زيادة العقل إذا بلغ منتهاه وهذا يدل على على أن العقل أضعف من العلم، وأن الدين لا يدرك به لضعفه وقلته، ويدرك بالعلم لقوته كثرته ويدل على ذلك أن العاقل إذا جن ذهب عنه العقل الإكتسابي، ولم يهتد إلى أمر الآخرة وما يتعلق بالدين، وبقي معه العقل الغريزي يفعل ما يفعله الصبي، ولم يذهب عنه ما يتعلق بالأموال الدنيوية، من الأكل والشرب والإمساك عما يضر به، والإسراع إلى ما ينفعه، فدل على أن قليل العقل وكثيره لا مجال له في الدين ما تنضم إليه قرينة.⁵

⁵. الحجة في بيان المحجة، ص ٥٠٢، ج

وأما تعريف القلب: وأصل القلب في اللغة تحويل الشيء عن وجهه قلبه بقلبه قلبا، قال تعالى: (وقلبوا لك الأمور)، والجمع قلوب وأقلب، وقلب شيء: تصريفه وصرفه عن وجهه إلى وجهه، كقلب وقلب الإنسان أي: صرفه عن طريقه، قال تعالى (وإليه تقبلون)^٦، والإنقلاب: الإنصراف، قال: (إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه)^٧، وقيل سمي القلب قلبا لكثرة قلبه كما جاء في قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. وتقلب الشيء: تغييره من حال إلى حال نحو: (يوم تقلب وجوههم في النار)^٨، وتقلب الأمور: تدبيرها والنظر فيها قال: (وقلبوا لك الأمور)^٩ وتقلب الله القلوب والبصائر: صرفها من رأي إلى رأي قال: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم)^{١٠}.

والقلب اصطلاحا: يأتي بمعانيه اللغوية، فيطلق على تلك المضغة المعروفة، ويطلق على ما يحصل من إدراك وتعقل في تلك المضغة، وبهذا عرف القلب بأنه لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك

^٦ العنكبوت: ٢١

^٧ آل عمران: ١٤٤

^٨ الأحزاب: ٦٦

^٩ التوبة: ٤٨

^{١٠} الأنعام: ١١٠

اللطيفة هي حقيقة الإنسان¹¹ وهي المدرك والعالم من الإنسان والمخاطب والمطالب والمعاتب. وقوله صلى الله عليه وسلم (..آلا و إن في الجسد مضغة....القلب) يدل على أن القلب المعنوي هو في القلب المادي الجسمي المسمى بالمضغة.

وأما عند الأطباء عبروا القلب بأنها عبارة عن عضلة صغيرة بحجم قبضة اليد الكبيرة تعمل مثل مضخة تضخ الدم في الشرايين ومنه إلى أنحاء الجسم الأخرى كما أنها تستقبل الدم العائد من الأوردة، وشكل القلب كحبة الأجاص المقلوبة يتمركز في الصدر مائلا قليلا نحو اليسار ويوجد في القلب أربع حجرات اثنتان علويتان وتدعى الاذيان واثنتان سفليتان وتدعى البطينان وهي ذات جدار سميك العضلة، كما أن القلب ينبض ٦٠-٨٠ نبضة في الدقيقة، والنبضات عبارة عن التقلص والإسترخاء لعضلة القلب ليتم ضخ حوالي ٣-٥ لتر من الدم في الدقيقة الواحدة، وتتغذى عضلة القلب من الأوعية الدموية المحاطة بها وأي انسداد بها يؤدي إلى الموت.

ومن خلال التعاريف السابقة نقول بأن القلب يطلق على اللحمية الصنبورية الشكل في الجانب الأيسر من الصدر، ويطلق على اللطيفة المعنوية الموجودة في هذه اللحمية، وهو محل الإدراك والتعقل والتفهم، وهم محل الرغبات والأهواء فيقلب بين رغبة وأخرى، بين

¹¹. التعريفات للجرجاني، ص. ٢٢٩، رقم ١١٤٩.

خير وشر، وهو محل الإرادة، فيختار إحدى الرغبات، وهو المخاطب من الإنسان والطالب والمعاتب.

وما ذكرنا في التعريف من قولنا: وهو محل الإدراك والتعقل والتفهم، وقولنا وهو المخاطب من الإنسان والمطالب والمعاتب) على اعتبار أن العقل أو العقل الإيماني في القلب، وقد خصصنا الكلام عن العقل في الفصل الأول بغض النظر عن مكانه في القلب أو في الدماغ.

٤. العقل والقلب في القرآن الكريم

وقد يعبر بالقلب عن القلب، كما في قوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أي عقل، وقيل معناه تفهم وتدبر. في القرآن يمثل القلب والعقل كينونتين. ففعل عقل يرد تسعا وأربعين مرة في القرآن ما عدا واحدة جاءت بصيغة الفعل المضارع وخصوصا ما اتصل بولو الجماعة تعقلون أو يعقلون، ففعل تعقلون تكرر اثنين وأربعين مرة وبخلاف صيغة يعقلون جاء اثنين وعشرون مرة وصيغة الإفراد جاءت مرة واحدة.¹²

¹². يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن، ص ٢٩.

أما كلمة القلب فيأتي ذكره مائة واثنين وعشرين مرة. ورغم ذلك فالقرآن لا يرى ضرورة القطعية بينهما. بل يؤكد واقع الالتقاء بين العقل والقلب. ولعل أكثر آيات القرآن تعبيرا عن ذلك الآية السادسة والأربعون من سورة الحج (أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)^{١٣}. يمثل القلب هنا تلك القوة التي تقف وراء العقل ولا نستطيع تحديدها تحديدا ماديا. إنها البصيرة. فالقلب هنا يرى الوجود بعين البصيرة لا بعين البصر ويدرك الحقيقة من الداخل لا من الخارج أو الظاهر. وتعبير علم الحديث فكسب رهان الحقيقة ويتطلب رؤية مركبة ومعقدة للأشياء. فالإمساك بإيمان مطمئن لا يكفي فيه التوكل على سلطان العقل وحده بل يحتاج فيه المتعطش إلى نور اليقين وإلى هدي القلب. فبصيرة القلب وعقلانية العقل مستويان ضروريان للمجتمع باليقين. ومن ثم لا يمكن للرؤية القرآنية إلا أن تدعوا التواصل والتعاون بين العقل والقلب في مثب هذا النوع. ومن ذلك يستنتج أدلته على وجود الخالق. فيسعى إلى كسب رهان العقيدة واليقين. أما القلب فيقوم أساسا بالشئ نفسه لكن بأسلوب تفكير مختلف، فهو يستند إلى الوجدان العميق والبصيرة النفاذة، وإن هناك اختلاف في الأدوار بين الإثنين. فالعقل يجمع المعلومات وينظمها ويستنتج منها ما يمكن أن يساعده على

تحسين رصيد معرفته. أما القلب فهو يدرك هذه المعلومات إدراكا باطنيا ووجدانيا قد يكون العقل عاملا مساعدا فيها أو قد يكون جزءا لا يتجزأ من القلب.^{١٤}

وإذا تأملنا بعض الآيات لوجدنا القلب بمعنى العقل هو الحاكم الأول والآخير على ما يعرض على الإنسان من أفعال يجب عليه القيام بها من خير وشر، قال تعالى "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ولهم آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".^{١٥} هذه الآية دلالة قاطعة على إعجاز القرآن الكريم فالمقصود بالقلب الأول وهو العقل كما هو موجود في كل القرآن الكريم من أوله إلى آخره.

ولكن هل المقصود في القول الثاني هو العقل؟ لا بل هو القلب المتداول الآن لهذا بين الله تبيان جليا فقال التي في الصدور لأن القرآن عندما يتكلم عن القلوب إنما يقصد القلوب التي في الرؤوس، أما هنا فأراد أن يوضح هذه المرة أن القلوب التي تعمى هي التي في الصدور وليست التي في الرؤوس. فالقلوب التي في الرؤوس ربما لا تفقه ولا تفكر ولكن إن فكرت وعرفت الحقيقة لا تتبع هذه الحقيقة لأن القلب الذي في الصدر يرفض الإتياع. لهذا نجد أن الهداية

^{١٤} مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، الدكتور شيخ محمد على الجوز، ص. ٣٠٤.

^{١٥} الحج، ٤٦.

منقسمة إلى قسمين هداية الدلالة وهي محلها القلب الذي في القلب الذي في الصدر.^{١٦} إن القرآن يحتوي على ١٢٢ آية ذكر فيهن كلمة القلب، وهن يتحدثن عن جوانب كثيرة في النفس البشرية بحيث تشعرنا أحيانا أننا أمام صورة من صور العقل، أو أمام العقل ذاته، وأحيانا أخرى نشعر أننا أمام العاطفة والأحاسيس والمشاعر الوجدانية، وأحيانا ثالثة نجد أنفسنا أمام جانب يجمع بين الجانبين العقل والعاطفي ويزيد عليهما عمقا وبعدا آخر.

إننا سنقف إذا أمام النص القرآني ونحاول أن نتدبر متحررين من الآراء التي عرفها الجمهور، سنقف أمام النص وجها لوجه نحاول أن نستشف منه المعاني الحقيقة للفظ " القلب " وسوف نبدأ بالآيات التي تعتبر في نظري-والله أعلم- أهم آيات في القرآن بالنسبة لهذا البحث والتي تبين إلى أي مدى يتلقى العقل والقلب ويتحدان في معنى واحد، يعبر تعبيرا عميقا عن حقيقة موجودة في الإنسان تقف وراء العقل والقلب معا.

لقد ورد في القرآن آيات كثيرة والتي نحن بصدد ذكرها وتحليلها وهي نقطة الالتقاء بين العقل والقلب، وهي آية وردت في سورة الحج ٤٦ وهي قوله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أمامنا هنا عدة أمور:

¹⁶. العقل والفؤاد في القرآن الكريم، محمد صادق، ص ١.

أولاً- دعوة إلى السير في الأرض، سير الباحثين عن الحقيقة، المتأملين في مظاهر الوجود، الدارسين للتاريخ الإنساني بما مضى فيه من أحداث وعبر ومواقف، وثانياً ومن الذي يقوم بالتأمل، والدرس والمعرفة والإيعاظ إنه قلب الذي يعقل، لأن القلب أسند إلى فعل العقل في هذه الآية الكريمة فقال "قلوب يعقلون بها" مع إضافة شيء يدل على الإصغاء إلى نداء باطني رغم التعبير عن ذلك بحاسة ظاهرة وهي قوله "أو آذان يسمعون بها".

فهل قصد بلفظ القلب مسندا إليه فعل العقل بأنه هو العقل ذاته؟ إنه يبدو في الظاهر أنه كذلك، ولكنه في الحقيقة، والواقع شيء أعمق من هذا وذاك. فلا القلب قصد به العقل ذاته، ولا الأذن قصد بها الأذن ذاتها، والدليل هو الأمر الثالث في الآية الذي يفسر ويشرح ما سبق.

ثالثاً- إنه الإشارة إلى شيء هام، إلى معنى دقيق: "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" بحيث أسندت العمية إلى هذا العضو الذي يوجد في الصدر، إلى القلب.

إذن هناك بصر وبصيرة، هناك رؤية عينية ورؤية قلبية، فقد يمر الإنسان ببصره على كثير من الآيات والدلائل على القدر الإلهية ولا يحسن بها ولا يدرك حقيقتها لأن "بصريته" مظلمة، لأن قلبه أعمى، وقد تنكشف الحقائق فيراها أمامه جلية واضحة، يراها بقلبه،

يراها ببصيرته التي في أعماق نفسه، فيدرك أبعادها وبفهم دقائق فيعرف ما ورائها من حكمة.

إنها "البصيرة" إذن، إنها القلب، ولكن القلب هنا قلب مبصر، قلب مشرق ومضيئ، قلب يعقل يدرك، قلب تنكشف أمام الحقائق كما يسלט النور على الأشياء فتتضح وسط الظلمة. إنه عقل من ناحية، وإنه وجدان من ناحية ثانية، أو إنه تلك القوة التي تقف وراء العقل ولا نستطيع تحديدها ماديا والتي نسميها الإلهام، وأحيانا يعرفها الشعراء والادباء والملمهون والعباقرة، وكذلك يعرفها المؤمنون الذين رزقوا شفافية النفس ورقة الشعور.

٥. المسؤولية في القلب

لفظ البصيرة في القرآن ارتبط بمعنى الإحاطة بكوامن النفس البشرية لذلك ورد في سورة القيامة آية ١٤ ليعبر عن المسؤولية الكاملة بالنسبة للإنسان " بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيرة" فإذا كانت في أبعادها أعمق من العقل وهدن وضح عن سبب استخدام القرآن لفظ القلب في تحديد المسؤولية عن العمل.

يقول الله تعالى " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم" وقوله " وليس عليكم جناح فيما

أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم" فالكسب والعمد لفظان يدلان على إرادة الفعل، والأول يرتبط بالنية ومحملها القلب، والثاني يدل على العزم والتصميم والقصد وهذا مناط المسؤولية في الإسلام، لأن الله رفع المسؤولية عن الإتيان العمل خطأ ودون قصد. وهذا يفرق بين الجبر والإختيار لرفع المسؤولية عن أخطأ دون إرادة ذلك الخطأ، وعن نسي في نفس الوقت، وهذا جانب ينطبق عليه جانب الجبر بينما الآيات تربط المسؤولية تربط المسؤولية بالقصد والإرادة وهذا ينطبق عليه جانب الإختيار. فالقلب المبصر هو المؤشر الحقيقي للفرقة بين الخطأ والصواب وبين الخير والشر.

٦. إثم القلب

إذا تتبعنا جانب المسؤولية في القرآن فإننا نجد أن " الإثم" يسند إلى القلب وذلك في قوله تعالى: ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم (الآية)^{١٧}. فالكتمان وهو إسرار الشيء وإخفاؤه عمل من أعمال القلب، وهو يناط بإرادة الإنسان ونيته وضميره، ولذلك كان كتمان الشهادة وعدم أدائها

إثما وذنبا يحاسب عليها الإنسان، لأن الله يعلم ما تخفي الأنفس وماتكتم، " يعلم السر وأخفى" طه ٧. وهذا التعارض بين الإعلان والإسرار والتناقض بين الظاهر والباطن هو ما يسمى بالنفاق وهذا هو الذي يحدد حقيقة الإنسان هل هو مؤمن أم لا؟.

٧. مرض الإنسان

عندما يتعرض القرآن لظاهرة النفاق، يتعرض لها كظاهرة مرضية، ولكن هذه ظاهرة مكانها القلب لأنه محل التقلب والتغيير والتلون، وهو مصدر الكفر وإخفاء الحقائق الثابتة. وإن القرآن يصور حالات النفاق هذه في مختلف الظروف والأحوال التي تعبر عنها، وفي القسم الأول من سورة البقرة يقدم لنا نموذجاً من هذه الحالة المرضية فيقول تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. أمانا أربعة مظاهر النفاق في الآية الكريمة منها إدعاء الإيمان مع إخفاء نقيضه، والمنافق يخدع نفسه وهو يظن أنه يخدع الله والمؤمنين، وعلم الله أن المنافق مصاب بحالة مرضية في قلبه، فزاده مرضاً حتى يتناسب مع العقوبة التي يستحقها مرض النفاق.

إن مريض القلب انتهازي، تتسم تصرفات بانعدام الإخلاص وانعدام الثبات على المبدأ، لذلك فهو ينجأ إلى مراعاة أعداء الإسلام متخذاً لنفسه حجبا واهية تدل على الإنتهازية ومنها مراعاة هؤلاء الأعداء خوفا من فشل الدعوة الإسلامية وتحسبا للمستقبل ليظل على صلة بهم. والقرآن ينذر مرض القلوب بأن الله سيكشف ما أسروا في أنفسهم من النفاق، وهذا التأكيد على كشف السر يدل على أن القلب مكانه ومحله. قال تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) أما الظاهرة). أما الظاهرة التي يتميز بها المنافق أو مريض القلب فهي ضعف اعتقاده وبقينه هي أمراض متساوية الدرجة وأن القلب مركزها ومحلها جميعا.

إن القرآن يصور مظاهر القلب تصويرا دقيقا عند دعوة المؤمنين إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، لأن الحرب فيها امتحان للقلوب وإنه يدعوهم إلى القيام بواجبهم نحو عقيدتهم، ولكن مرض القلوب يريدون التهرب من حمل المسؤولية فيطالبون بأن تنزل آية فيها نص عن الجهاد، فإذا نزلت الآية تراهم من جنبهم وخوفهم وترددهم ينظرون نظرة المغشى عليه خوفا من الموت، يقول الله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة

وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم).

٨. الطبع على القلوب وإقفالها

وتستمر الآيات في تصوير أحوال المنافقين، فإذا هم قوم قد لعنهم الله فاصم آذانهم عن سماع الحق وأعمى أبصارهم عن رؤية نور الإيمان والهداية، فلم يتأثروا بآيات القرآن ودعوته لأن قلوبهم قد أقفلت، يقول تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) والتعبير بالأفعال والأكنة والطبع والختم، وسد منافذ الهداية على القلب، كل ذلك يشعرنا بأن القلب هو الذي يفتح أبوابه لسماع الحق أو يغلقها وهو يطبع عليه فلا يصغى لنداء الوجدان أو تغشاه الغواش من حب الدنيا والإقبال على الشهوات فلا يستجيب لداعي الإيمان.

نلاحظ عندما يربط القرآن بين صمم الآذان وعماية الأبصار وإقفال القلوب، وكأن ذلك يحدث في وقت واحد، مما يؤكد الصلة بين الحواس وبين القلب، فإذا رجعنا إلى مبحث العقل وجدنا الظاهرة نفسها حيث يأتي الصمم والبكم والعماية مع نفي صفة العقل، وهذا يؤكد ارتباط العقل بالقلب، وارتباط الإثنين معا بالحواس فإما هي مغلقة وإما هي مفتوحة على الحق والنور والهداية.

وفي سورة البقرة آية ٦،٧ تبين لنا كيف يرتبط الكفر بالختم على القلوب والأسماع والأبصار، فإنذار الكافر وعدم إنذاره سواء، لأن هذا الإنذار لا يجد الأدوات الحسية الصالحة لأن تنقل إلى القلب صوت الحق. يقول تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم).

٩. إمتحان القلب

ولما كان القلب هو محل الإيمان والكفر، ومركز الهداية والضلال، فإنه يتعرض للمواقف الكبيرة التي تظهر حقيقته، لأن الله يمتحن هذه القلوب ليقيم الحججة على أصحابها، يمتحن هذه القلوب ليقيم الحججة على أصحابها، يمتحنها بالابتلاء والاختبار والفتنة. يقول تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فالقتال والجهاد في سبيل الله نوع من الإمتحان والابتلاء، وفي معركة أحد عندما خالف الرماة الأوامر طلبا للغنيمة، تحول النصر إلى هزيمة، ففسر اليأس إلى قلوب المنافقين، بينما ثبت المؤمنون في الميدان إلى جانب النبي كشف صدق المؤمنين وكذب المنافقين.. وهذا هو الهاجس الذي يجيس في النفوس التي لم تخلص لله وللعقيدة حينما تصطدم في موقعه من المواقع بالهزيمة حينما الآلم الهزيمة.

١٠. القلب والإستدلال المنطقي

إذا بحثنا عن اليقين المستند إلى العقل وجدنا ذلك في حوار إبراهيم مع ربه: قال إبراهيم ربي أربي كيف تحي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. إن الدلالة التي يطلبها إبراهيم عقلية، ولكنه استخدام تعبير "ليطمئن قلبي" فبين أن الإيمان مكانه القلب، وأن اليقين محله وجدان، لأن الطمأنينة أمر نفسي يساعد العقل على الوصول بآستنتاجاته المنطقية السليمة. أن إبراهيم ليس شاكا في قدرة الله ولكنه يبحث عن المعرفة العقلية لثرتاح نفسه ويطمئن قلبه

وقد وردت خمسة عشر آية في القرآن الكريم جاء فيها لفظ الفؤاد، وهي في أهميته لا يقل عن أهمية القلب ودوره، بل إنه يؤكد المعاني التي يتضمنها لفظ القلب، من حيث التعبير عن العقل وارتباطه بالمسؤولية واشترآكه مع الحواس في العمل.

خلق الله سبحانه الإنسان وجعل له السمع والبصر والفؤاد ليستعين بهم على المعرفة، فيشكر نعمة الله ويؤمن به، ويطيعه، ولكن الإنسان الكافر يجحد هذه النعمة فلا يستفيد من وجوه هذه القدرات والملكات فيعطلها ويجحد بآيات الله سبحانه.

وأما لفظ الصدر في القرآن ورد إحدى والأربعون آية جاء فيهن لفظ الصدر، واستعمل مكان لفظ القلب من باب الإستعارة،

إذ أن الصدر هو محل القلب، ولأننا لا نستطيع إعتبره من المتردفات- لأنه يطلق على القلب الصدر مجازاً. يخاطب الله ارسول فيقول " ألم نشرح لك صدرك" معناه التوسعة في الصدر حتى يستقبل نور الإيمان والآية التالية توضح معنى " الشرح" والتي يجئ لفظ الضيق مقابل لفظ الشرح" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام" ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون".

والإنسان لا يحمل قلبين في جوفه ومكان القلب هو الصدر وهذا شئ بديهي، ولكن القرآن يؤكد هذا المعنى " لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" وهذا يفسر استخدام الصدر مكان القلب أحيانا كثيرة. وجاء السؤال هل المقصود من القلب على هذا الأساس هو العضو نفسه؟ أم المقصود هو شئ أعمق من هذا وأشمل وأوسع؟ هل المقصود في القلب هو النفس البشرية ككل ويكنى عنها بالعقل أو اللب أو اللب أو الفؤاد أو الصدر؟ أم المقصود هو ذات القلب أو ذات العقل؟.

هذا ما نحتاج إلى معرفته لأن استخدام الجزء وإرادة الكل هو أحد أساليب اللغة العربية، والتعبير بمختلف الألفاظ عن تلك القوة أو الملكة التي تتشكل بها أعمال الإنسان وتصرفاته من خير أو شر، سواء كان باستخدام الألفاظ والتي تدل على الفكر المجرد كالعقل

واللب أو التي تدل على النفس وما يتصل بها من أحاسيس ومشاعر كالقلب والفؤاد، ويؤكد لنا أن القرآن الكريم ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة لكل قوة وملكاته.

واستخدام القلب باعتباره المركز الرئيسي في الإنسان والذي تتصل به قضايا الحياة والموت، والصحة، والضعف، والحب والكره، والرغبة والرغبة، وكل ما يتصل به أيضا من إرادة الخير أو إرادة الشر. ولما كان القلب يقع من النفس البشرية في صميمها فإننا لا نستطيع أن نقول إن القلب أعمق وأشمل، لأن القرآن أسند إليه وظائف تتصل بالتفكير والعقل تارة، وأسند إليه وظائف تتصل بالألهام والمشاعر الفياضة الذي يعبر عن ضمير الإنسان ووجدانه، وإنه البصيرة التي تكون عند خاصة المؤمنين والأتقياء والصالحين. وإنه الفطرة التي فطر الناس عليها.

١١ . الختام

بين مفهوم العقل ومفهوم القلب في القرآن، يمكننا أن نقول بوجود عموم وخصوص بين اللفظين، فهما يشتركان في الناحية الفكرية، ويختص القلب بالناحية الوجدانية، أي أننا نستطيع أن نؤيد القول الذي جاء به العلماء من أن القلب هو العقل أي كان العقل هو القلب لكل المعاني التي تتصل بالمشاعر والأحاسيس والعواطف الإنسانية، بينما يقتصر العقل على التفكير والتأمل والدراسة والفهم

والمعرفة. فالقلب بمعنى العقل هو الحاكم الأول والأخير على ما يعرض على الإنسان من أفعال يجب عليه القيام بها من شر وخير، قال تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

هذه الآية دلالة قاطعة على إعجاز القرآن الكريم من أوله إلى آخره ولكن هل المقصود في القول الثاني هو العقل؟ لا بل هو القلب المتداول الآن ولهذا بين الله تعالى في هذه الآية تبيان جليا فقال التي في الصدور لأن القرآن عندما يتكلم عن القلوب إنما يقصد القلوب التي في الرؤوس، أما هنا فأراد أن يوضح هذه أن القلوب التي تعمى هي التي في الصدور وليست التي في الرؤوس، فالقلوب التي في الرؤوس ربما لا تفقه وربما لا تفكرن ولكن إن فكرت وعرفت الحقيقة لا تتبع هذه الحقيقة لأن القلب الذي في الصدور يرفض الإتياع، لهذا نجد أن الهداية منقسمة إلى قسمين هداية الدلالة وهي محلها القلب الذي في الرأس وهداية التوفيق أو القبول وهي محلها القلب الذي في الرأس وهداية التوفيق أو القبول وهي محلها القلب الذي في الصدر حقا كما قال ربنا عز وجل " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي تعمى عن الموعدة.

والآن سؤال آخر لماذا يسمى العقل قلبا؟ الجواب قبل ان تعرف لماذا يسمى العقل قلبا يجب أن تعرف لماذا يسمى القلب الذي في الصدر قلبان يسمى القلب الذي في الصدر قلبا لأنه كثير تقلبات من خير إلى شر ومن حسد إلى حب ومن إيمان إلى كفر ومن عفاف إلى شهوات بذئنة، وسمي العقل بالقلب لأنه يقلب الحقائق وتقلب عليه الحقائق فأحيانا يرى الحق باطل والباطل حقا.

المراجع

لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم،
٢٠٠٣.

التعريفات، على بن محمد الشريف، دار النفائس، ٢٠٠٧.
بصائر ذوي التمييز، مجد الدين ابن يعقوب، القاهرة، ١٩٦٣.
مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، محمود على جوزي،
القاهرة، ١٩٧٢.

الحجة في بيان الحجة، الأصبهاني، لبنان، ١٩٨٠.

العقل والفؤاد في القرآن، محمد صادق، ١٩٩٠.

بين العقل والقلب، حسن شرقاوي، ٢٠٠٢.

العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، ١٩٩٦.